بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

فـــوائـــد مخـــتارة
من كتـــاب
درء تعارض العـقل والنقل

لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) .

بقلم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية – رفحاء

الموقع على الإنترنت – مجلة رياض المتقين

www.almotaqeen.net

١- قال تعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) فأنزل الله الكتاب حاكماً بين الناس فيما اختلفوا فيه ، إذ لا يمكن الحكم بين الناس في موارد النزاع والاختلاف على الإطلاق إلا بكتاب منزل من السماء ، ولا ريب أن بعض الناس قد يعلم بعقله ما لا يعلمه غيره . (١ / ١٧٤) .

٢- وكذلك حديث نزوله عشية عرفة إلى الموقف على جمل أورق ومصافحته للركبان ومعانقته للمشاه وأمثال ذلك هي أحاديث مكذوبة موضوعة باتفاق أهل العلم فلا يجوز لأحد أن يدخل هذا وأمثاله في الأدلة الشرعية . (١ / ١٧٦) .

٣- كالأحاديث المروية في فضائل الأعمال على وجه المجازفة ، كما يروى مرفوعاً (أنه من صلى ركعتين في يوم عاشوراء يقرأ فيهما بكذا وكذا كتب له ثواب سبعين نبياً) ونحو ذلك هو عند أهل الحديث من الأحاديث الموضوعة ، فلا يعلم حديث واحداً يخالف العقل أو السمع الصحيح إلا وهو عند أهل العلم ضعيف بل موضوع . (١ / ١٧٧) .

٤- ولهذا أمرنا الله أن نقول في كل صلاة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون) .

وكان السلف يقولون (احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون) فكيف إذا اجتمع في الرجل الضلال والفجور ؟

ولو جمعت ما بلغني في هذا الباب عن أعيان هؤلاء كفلان وفلان لكان شيئاً كثيراً وما لم يبلغني من حيرتهم وشكهم أكثر وأكثر .

وذلك لأن الهدى هو فيما بعث الله به رسله ، فمن أعرض عنه لم يكن مهتدياً ، فكيف بمن عارضه بما يناقضه وقدم مناقضه عليه . (١ / ١٨٨) .

٥-فمن طلب الهدى بغير القرآن ضل ، ومن اغتر بغير الله ذل . (١ / ١٨٩) .

٦- ولهذا تجد من تعود معارضة الشرع بالرأي لا يستقر في قلبه الإيمان ، بل يكون كما قال الأئمة : إن علماء الكلام زنادقة وقالوا : قلّ أحد نظر في الكلام إلا كان في قلبه غل على أهل الإسلام ، مرادهم بأهل الكلام من تكلم في الله بما يخالف الكتاب والسنة .

ففي الجملة لا يكون الرجل مؤمناً حتى يؤمن بالرسول إيماناً جازماً ليس مشروطاً بعدم معارض ، فمتى قال أؤمن بخبره إلا أن يظهر له معارض يدفع خبره ، لم يكن مؤمناً به ، فهذا أصل عظيم تجب معرفته ، فإن هذا الكلام هو ذريعة الإلحاد والنفاق . ١ / ١٩٧) .

٧- وأما من قال لا أصدق ما أخبر به حتى أعلمه بعقلي فكفره ظاهر وهو ممن قيل فيه (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته) . ١ / ٢٠٦ .

٨- ومن عارض ما جاءت به الرسل برأيه فله نصيب من قوله تعالى (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) . ١/ ٢٠٦

٩- والبدع مشتقة من الكفر ، فمن عارض الكتاب والسنة بآراء الرجال ، كان قوله مشتقاً من أقوال هؤلاء الضلال ، كما قال مالك : أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هذا . ١ / ٢٠٦ .

١٠-وهو منشأ البدع ، فإن البدعة لو كانت باطلاً محضاً لظهرت وبانت وما قبلت ، ولو كانت حقاً محضاً لا شوب فيه لكانت موافقة للسنة ، فإن السنة لا تناقض حقاً محضاً لا باطل فيه ، ولكن البدعة تشتمل على حق وباطل . ١ / ٢٢٠ .

١١-فلا تجد قط مبتدعاً إلا وهو يحب كتمان النصوص التي تخالفه ، ويبغضها ويبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها ، ويبغض من يفعل ذلك ، كما قال بعض السلف : ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه ، ثم إن قوله الذي يعارض به النصوص لابد له أن يلبس فيه حقاً بباطل بسبب ما يقوله من الألفاظ المجملة المتشابهة . ١ / ٢٢٨ .

١٢- وهذا ، لأن الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء ، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل . ٢٣٥/١ .

١٣- كما يروى عن مالك رحمه الله أنه قال : إذا قل العلم ظهر الجفاء ، وإذا قلت الآثار كثرت الأهواء . ١ / ٢٦٥ .

١٤-وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالي عليها ويعادي غير النبي ﷺ ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام الله تعالى ورسوله ﷺ وما اجتمعت عليه الأمة ، بل هذا من فعل أهل البدع ، الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة يوالون على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون . ١ / ٢٦٦ .

١٥- والله سبحانه وتعالى خاطب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم فقال (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) (يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) (يا موسى إني أنا ربك) (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) .

ولما خاطبه ﷺ قال (يا أيها النبي) (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) (يا أيها المزمل) (يا أيها المدثر) فنحن أحق أن نتأدب في دعائه وخطابه . ١ / ٢٨٤ .

١٦- فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقة ، ولا وفي بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم واليقين . ١ / ٣٢٩ .

١٦-وقد كنت قديما ذكرت في بعض كلامي أني تدبرت عامة ما يحتج به النفاة من النصوص فوجدتها على نقيض قولهم أدل منها على قولهم كاحتجاجهم على نفي الرؤية بقوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فبينت أن الإدراك هو الإحاطة لا الرؤية ، وأن هذه الآية تدل على إثبات الرؤية أعظم من دلالتها على نفيها . ١ / ٣٤١ .

١٧- فإن البدعة لا تكون حقاً محضاً موافقا للسنة ، إذ لو كانت كذلك لم تكن باطلاً ، ولا تكون باطلاً محضاً لا حق فيه ، إذ لو كانت كذلك لم تَخْفَ على الناس ، ولكن تشتمل على حق وباطل ، فيكون صاحبها قد لبس الحق بالباطل ، إما مخطئاً غالطاً ، وإما متعمداً لنفاق فيه وإلحاد . ١ / ٤٣٣ .

١٨- كما قال تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) فأخبر أن المنافقين لو خرجوا في جيش المسلمين ما زادوهم إلا خبالاً ، ولكانوا يسعون بينهم مسرعين يطلبون لهم الفتنة ، وفي المؤمنين من يقبل منهم ويستجيب لهم ، إما لظن مخطئ أو لنوع من الهوى أو لمجموعهما ، فإن المؤمن إنما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه ، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال (إن الله يحب البصر النافذ عند وجود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات) . ١ / ٤٣٤ .

١٩-وقد أمر المؤمنين أن يقولوا في صلاتهم (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فالمغضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به ، والضالون عبدوا الله بلا علم

ولهذا نزه الله نبيه عن الأمرين بقوله (والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) وقال تعالى (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار) . ١ / ٤٣٤ .

٢٠- ولهذا كلما اشتهر الرجل بالانتساب إلى السنة كانت موافقته لأحمد أشد . ١ / ٥٦٨ .

٢١- والرسل صلوات الله عليهم وسلامه بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بإفسادها وتغييرها . ٢ / ٥٥ .

٢٢-فمن تأول قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) على سقوط العبادة بحصول المعرفة فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، والمراد بالآية اعبد ربك حتى تموت، كما قال الحسن البصري: لم يجعل الله لعبادة المؤمن أجلاً دون الموت وقرأ الآية . ١٩٤/٢

٢٣- والصواب الذي عليه جمهور العلماء أن قول النبي ﷺ (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) معناه أن من أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة ، ليس مراده أنه ليس له إلا تسعة وتسعون اسماً ، فإنه في الحديث الآخر الذي رواه أحمد وأبو حاتم في صحيحه (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب غمي وهمي) ، وثبت في الصحيح أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فأخبر أنه ﷺ لا يحصى ثناء عليه ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها فكان يحصى الثناء عليه لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه . ٢ / ٢٣٣ .

٢٤-ومن هذا الباب ما ينقله آخرون عن عمر ﷺ أنه قال (كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما) فهذا وأمثاله من الكذب المختلق باتفاق أهل المعرفة . ٢ / ٥٢٠ .

٢٥-وأصل العداوة البغض كما أن أصل الولاية [الحب] ، ومن المعلوم أنك لا تجد أحداً ممن يرد نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله ، ويود أن تلك الآية لم تكن نزلت ، وأن ذلك الحديث لم يرد ولو أمكنه كشط ذلك من المصحف لفعله ، قال بعض السلف ما ابتدع أحد بدعة إلا خرجت حلاوة الحديث من قلبه . ٢ / ٦٤٣ .

٢٦- وبالجملة : فكل من أبغض شيئاً من الكتاب والسنة ففيه من عداوة النبي ﷺ بحسب ذلك ، وكذلك من أحب ذلك ففيه من الولاية بحسب ذلك . ٢ / ٦٤٤ .

٢٧- وكل من كان أعرف بفساد الباطل كان أعرف بصحة الحق . ٢ / ٦٦٩ .

٢٨- ويروى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)، وهذا حال كثير ممن نشأ في عافية الإسلام ، وما عرف ما يعارضه ليتبين له فساده ، فإنه لا يكون في قلبه من تعظيم الإسلام مثل ما في قلب من عرف الضدين ، ومن الكلام السائر الضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الأشياء . ٢ / ٦٦٩ .

٢٩- ومما يبين هذا أن الصفات السلبية ليس فيها بنفسها مدح ، ولا توجب كمالاً للموصوف ، إلا أن تتضمن أمر وجودياً :
كوصفه سبحانه بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، فإنه يتضمن كمال حياته وقيوميته .
وكذلك قوله تعالى (وما مسنا من لغوب) متضمن كمال قدرته .
وقوله (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض) يقتضي كمال علمه .
وكذلك قوله (لا تدركه الأبصار) يقتضي عظمته بحيث لا تحيط به الأبصار . ٣ / ١١٧ .

٣٠- وقد جاءت بذلك عدة آثار مرفوعة إلى النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين بأنه في الآخرة يمتحن أطفال المشركين وغيرهم ممن لم تبلغه الرسالة في الدنيا ، وهذا تفسير قوله (الله أعلم بما كانوا عاملين) وهذا هو الذي ذكره الأشعري في المقالات عن أهل السنة والحديث وذكر أنه يذهب إليه . ٤ / ٧٣ .

٣١- وأمرنا الله أن نقول في صلاتنا (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فان النعمة المطلقة لا تحصل إلا بمعرفة الحق واتباعه . ٤ / ١١٧ .

٣٢- وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول - ويكتب بذلك إلى عماله - احفظوا عن المطيعين لله ما يقولون ، فإنه يتجلى لهم أمور صادقة . ٤ / ١٥١ .